سلسلة أسئلة إسلامية معاصرة (2)

# تعدُّد الحليلات

# أم

# تعدُّد الخليلات...؟!

بقلم

محمد عطا سعيد رمضان

قدم له

الشيخ عدنان ابن الشيخ إبراهيم حقي

دار الرضوان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ عدنان حقي

أمر الإباحية وضع من أوضاع البهيمية ومظهر من مظاهرها ، فالبهائم تنزو على بعضها لا تأبه لشيء من الروادع ولا تتهيَّب الاعتبارات الاجتماعية وغير الاجتماعية .

فالأنثى تتعرض للذكر وتستكين له عندما تنشط غريزتها ، والذكر حينئذٍ يكون في مثل وضعها فينشطان ومن ثم يلتقان ، وللعنصر الحيواني لدى الإنسان ما أدنى شَبَهَهُ بالحيوان عندما ينعتق من روادع الإيمان وزواجر الأخلاق فيغدو حيوانياً ينقاد للغريزة ، وآية ذلك أن الله تعالى قد أودع الإنسان قابليتين : مَلَكِية وأخرى حيوانية ، فمن ضبطته مَلَكِيته فهو أفضل من الملائكة ، ومن أسرته حيوانيته فهو أخس من البهائم .

لا جرم أن الإنسان عندما يغلب غريزته الحيوانية ويُخْضِعُها لضوابط الإيمان والأخلاق ، لا يتم له ذلك إلا بعد معاناةٍ ومقاومة شديدة لدوافعها كمن ينازل عدواً شرساً ، لذلك ينال هذه الأفضلية بينما الملائكة مغمورون في أطياف ملائكيتهم وهالاتها ، لا تتراءى لهم المغريات ولا يَسْفَعُهُمْ أُوارُ نارِها ، فليس لهم فضل على عدم اقترافهم الموبقات لهذا الاختلاف . وإننا في زماننا هذا نشاهد هيمنةً من هذا المستوى قد بات ديْدَنَ فئة من الناس الذين يقلدون الأمم الغربية ويحاكونهم بقناعة ، بحيث آض الزنى في مجتمعاتهم اعتباراً لا قيمة له ولا معنى ، فالفتاة تباشر متعتها الجنسية ومقابلاتها عندما تشاء ومع من تشاء ، ولا يُنْظر إليها أنها أتت أمراً إدّاً ، ولا هي تراه كذلك ، منذ بدايات بلوغها .

والأفظع من هذا أن الأُسَرَ قد تفككت فلم يَعُدِ الأب مسؤولاً عن أولاده بعد بلوغهم وعلى الأولاد أن يَسْعَوْا على معايشهم بأنفسهم ، وهنا في أغلب الأحوال يكون رأس مال الفتاة ( نفسَها ) فتقدم أنوثتها للراغبين في المتعة لتحصل المال الذي سوف تنفقه في ضروراتها المعاشية ، وهنا لا تسل عن المآسي والمخازي التي تحدث في هذا السبيل ، فمنها ضياع الأنساب وعدم معرفة الأولاد آباءهم ، ومنها الزنى بالمحارم والعياذ بالله ، فقد يأتي العاهر أخته أو ابنته أو أمه.. إلخ ( وما أدراه بهن ) فقد تسبب في وجود هؤلاء في لحظة عابرة وبرزن للوجود ولادةً من هذه الأوقات المختلَسة وهن نكرات ، علماً أن مثل هذه الأحوال ممنوعة في غير هذه المجتمعات مهما تدنت أخلاقها وفسدت قوانينها من أقدم العصور إلى الآن ، فضلاً عن كثرة اللقطاء ، ومن طبقتهم ينشأ المجرمون الذين يعبثون بأمن المجتمعات من جماعات المافيا ومن على شاكلتها ، وهنا تصور حياة التعاسة والحرمان والقلق لهؤلاء الناس الذين نشؤوا في أجواء التشرد في الأزقة والشوارع والملاجئ ، والسبب في ذلك : الحرمان من الجو الأسري الذي يظله الحنان إذ يجتمع شمل الأسرة في حب متبادل وتعاون مشترك من الوالد والوالدة والأولاد.. إلخ فيغدوا المجتمع بذلك خلايا منتظمة متعاونة ، يقوم كل بواجبه تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه.

أما الذين نشؤوا النشأة الغربية وتمتعوا بمظاهر المدنية الغربية من الرخاء وكثير من أوجه الرفاه والراحة الجسدية ، من الطمأنينة والهدوء النفسي فلا تكاد تجد آثار التعاطف والحنان بين الأهل فالابن منصرف عن أبيه وكذلك الفتاة عن بيتها ، هَمُّ كلٍّ منهم تدبير أسباب معيشته بالأسلوب المتاح ، فبوصول الأولاد سن البلوغ ذكوراً وإناثاً ينفصلون عن آبائهم وأسرهم ، وقد يستأجر الشاب غرفة من بيت أبيه ، ومثله أخته ، وقد تمر آماد طويلة لا يعرف الآباء عن أحوال أولادهم ولو طرفاً يسيراً من خبر ، والأولاد أيضاً لا يعرفون شيئاً من هذا الأمر .

من ذلك ما قرأت في مجلة العربي الكويتية أن عجوزاً كانت تقيم وحدها في منزلها ولها أولاد يسكنون هم أيضاً وحدهم ، وكانت والدتهم تُعْنَى ببعض القطط تعبيراً عن عاطفة الأمومة التي فقدتها لهجر الأولاد ، وكان البقال يأتيها كل يوم بقارورتين من الحليب يضعها أمام باب المنزل فعندما تفتح ربّة البيت الباب تأخذ القارورتين لطعامها وطعام قططها ، فجاء كعادته صباح يوم فوجد قارورتي البارحة في

مكانهما لم تبرحاه ، فلم يأبه لذلك ووضع بجنبهما قارورتين أخريين ، ثم عاد في الغد لأخذ القوارير الفارغة فوجد القوارير الأربعة في أماكنها ، فأوجس خيفة في نفسه خشية أن يكون قد حدث مكروه مّا فيُتَّهَمَ بها لأنه يتردد عليها للوازمها ، فترك القوارير على ما هي عليه وأسرع إلى الشرطة يخبرهم بما جرى فجاؤوا وقرعوا الباب ، فلم يُفْتَح ولم يُسمَعْ من خلفه نأمة ، فعالجوه إلى أن فُتِح ودخلوا الدار ، فإذا العجوز ممددة ، وقد ماتت ومن حولها القطط تموء ، وقد أكلوا مارن أنفها وحواقَّ أذنيها وأطرافَ كفّيها وأناملَها ، فبحثوا في الغرفة عن بطاقتها أو وثيقة يعرفون بها اسمها فوجدوا بطاقتها ونشروا اسمها في الصحف وعنوان دارها ، فجاءتهم غداة غدٍ فتاة وقالت : إن المتوفاة والدتها فسلموها جثتها وسألوها أَمَا كنت تترددين على والدتك ؟ قالت : لا ، فمنذ أشهر لم أرها فقد كان يحول دون ذلك مشاكل الحياة وتدبير المعيشة ، وبيتي في نفس هذا الشارع وبيني وبينها بضعة كيلو مترات ، هذا نموذج من حياة الناس هناك .

قال لي أحد شبابنا وكان يدرس في لندن : استأجرت غرفة لدى أسرة وكانت لها ابنة هي أيضاً مستأجرة ، تعيش معهم وتدفع أجورها وتتردد على عملها الذي تنفق من وارده على معيشتها ، قال الشاب : عدت إلى البيت ذات مساء وإذ بالفتاة وأبيها يتشاجران ، وقد علا صراخ الأب، وهي تبكي بدموع غزار تقول لأبيها : لا أكاد أجد أكثر مما كنت أدفعه لك ، والوالد يرفض ويقول لها : عليك أن تدفعي مثلما يدفع الآخرون ، وقد أصر على ذلك ، ثم دخلت غرفتي وانشغلت بشأني عنهما . هذه بعض سمات المعيشة التي يتعامل المجتمع الغربي بها في أحسن أحواله ، فلابد أن مثل هذه الفتاة كثيرات يتسكعن في الشوارع ليصطدن من يرافقنهم لقضاء المأرب معاً أو في مقارِّ أعمالهم ومكاتب وظائفهم لأن الرجال لا يتحملون تبعات الأسرة ونفقاتها أو الانشغال بها ويفضلون العلاقات العابرة مع العاهرات المنتشرات في كل مكان . والزوج قد يختلف مع زوجته فيهجرها ويأوي إلى بنات الهوى إلى أن يصطلحا ، ( ولو كانت المناسبة تتحمل أكثر لأتيت على ذكر ملاجئ الزوجات المطلقات والمطرودات ) ومع كل هذا ( خلال حياتهم العادية ) قد يحظى الزوج بحسناء تأخذ لبّه فينال منها بمعزل عن زوجته ، ومثله زوجته تتصيد الفرص ولا تكتفي بالعلاقة الزوجية وحدها ، وقد يتبادلون الزوجات ، فيصحب الرجل زوجة صاحبه إلى داره ، ويبقيان معاً المدة المتفق عليها ،ومع كل هذه الأحوال هم في الظاهر مكتفون بزوجة واحدة , لكنهم معددون بما لا حصر له كما حصل في المدة الأخيرة للرئيس الأمريكي ( بل كلينتون ) مع الحسناء اليهودية ( مونيكا لونيسكي ) وكما حدث منذ نحو عشرين سنة مع أحد وزراء بريطانيا المدعو ( بروفيومو ) مع بائعة هوى حسناء خلبت لبه ، وكما حدث للأميرة ( ديانا سبنسر زوجة ولي العهد البريطاني مع عشيقها المليونير المصري ( عماد الفايد ) وماتت معه في حادث سيارة .

هذه أحوال عادية عند القوم أوردها نماذج للقراء الذين قد لا يعلمون هذه الحقائق ، ثم لا تسل عن ملايين المصابين بالأمراض التناسلية لا سيما الإيدز ذلك الوباء المدمِّر ، ناهيك عن هواة اللواطة الذين يتزوجون الذكران مثل النسوان ، عدا ملايين النساء غير المتزوجات والملايين الذين يخونون زوجاتهم واللواتي يَخُنَّ أزواجهن والعدد الهائل من الأرامل , ولا تسل عن الفاحشة الكبرى والعياذ بالله نكاح المحارم ، ومن لا آباء لهم ، كل هذا وغيره بسبب هذه الفوضى الجنسية وتفكك الأسرة وعدم الرباط العائلي ، مضافاً إلى كل هذا تزايد أعداد النساء عن الرجال كما في فنلندا وألمانيا وشمال أوربا ، وحال اللواتي لفظتهن الأسرة أو نشأن بلا أب ترعاهن أم تتاجر بعرضها بأبخس الأثمان وهي تعمل في مطعم أو فندق أو معمل لتأمين ما يضمن أسباب معيشتها . هذه أحوال قائمة وهي مظهر المجتمع هناك .

لكن هذا الحال خلال هذه المدد الطويلة حركت ضمائر بعض الواعين من أصحاب الشعور النبيل فتألموا لهذه المأساة الإنسانية وتكلموا عنها وآثاروها واعترضوا عليها وطالبوا أقوامهم بالرجوع عنها من أمثال العالم (كوستاف لوبون )عندما صرح أثناء مؤتمر عقد في (بون ) لمكافحة الإجرام والأمراض الجنسية، فقال قولته التي دوّت في الآفاق يومئذ : ((إن تعدد الزوجات لدى الشرقيين أفضل من تعدد الزوجات السري عند الأوربيين )) . وهذا ما يجعل النساء ينتسبن إلى أزواجهن والأولاد إلى آبائهم فترتفع عن النساء وصمة العهر إلخ وعن الأولاد اسم أولاد الزنا والأولاد غير الشرعيين ، من أجل هذه المشاكل قال العقلاء بوجوب تعدد الزوجات ، وقد وجه

الفيلسوف(روجيه كارودي ) الفرنسي نداء إلى الشرقيين قال فيه: ((أوربا مريضة وأنتم أصحاء ومن الخطأ أن يقلّد الصحيح المريض )) ويقصد واقع الغرب ، هذه الأحوال والأوضاع كلُّها أيها الإخوة أدلة صارخة على انحراف الغرب عن الطريق السوي وأنهم يسيرون على نهج الفوضى والاختلال ، فينبغي أن نقف دونها متمسكين بتعاليم شرعنا الذي هو مصدر السعادة والسيادة، وهو معنى قول (كوستاف لوبون وروجيه كارودي ) .

زارني ١٠ /١٢ / ٢٠٠٣ شاب بريطاني اسمه (موركان) يقيم في دمشق مند سنتين لتعلم اللغة العربية وتأليف كتاب عن الإسلام وبعض مواضيعه ، سألني عن أمور كثيرة وهي لديه مشاكل وسألته عمن عرف من مشايخ الشام ، فذكر أسماء بعضهم بخير قلت له: بعد أن أقمتَ بين المسلمين هذه المدة ماذا فهمت منه وكيف رأيته ، فأجابني جواباً حاسماً( الإسلام دين عظيم وهو دين العقل ) قلت أما والأمر كذلك فلِمَ لا تسلم يا مستر موركان ، فأغمض عينيه لحظات ثم فتحها وهو يهز رأسه هوناً ، وقال : لا أقدر ، فديني أيضاً عظيم ، قلت يا مستر موركان : ما لنسائكم معاشر الغربيين لا يَرْدُدْنَ يدَ لامسٍ ويستسلمن لمن يريد أن يتمتع بهن ، وقد تبذل هي نفسها للرجل دون سعي منه فتبسم ضاحكاً وقال : صحيح ، ذلك وضع أَلِفْناه وصار عادة . وهكذا :

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ عليه

ما لِجُرحٍ بميّتٍ إيلامُ

يالَلْعجب من هؤلاء الناس إذ يصفون الإسلام بأنه دين شهواني ويَعْمَوْن عن أعرافهم وأذواقهم ، يَرْضَوْن للرجل بعشرات الخليلات ولا يَرْضَوْ ن بأكثر من زوجة بينما الإسلام يمنع الخليلات ويبيح أربع حليلات فقط ، ومع ذلك فالإسلام دين شهواني وهم معتدلون ، . { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } هذا : لعمري إن هذا هو عمى البصيرة الذي عناه الله بقوله تعالى

وقد أحسن الاختيار ولدُنا الحبيب العاقل اللبيب سيد محمد عطا بن سيد سعيد وأجاد في التحليل وحشد للرد الأدلة القوية التي لا يقوى على ردها عالم منصف ، ولقد قرأت الموضوع كلَّه فألفيته قد جمع فأوعى ، ولم يدع مزيداً لمستزيد وإن يكن قد أنجز هذا الموضوع بهذا العرض الجيد فلعمري إن كل مواضيعه التي جاء بها من قبلُ من هذا القبيل ، فأسأل الله تعالى له المزيد من التوفيق وأن يثيبه خير ما يثيب به مستحقاً لثواب . آمين

القامشلي في

ذي الحجة ١٤٢٤هـ الموافق - ٢٦ -كانون الثاني - ٢٠٠٤ م ٤

: كتبه

عدنان بن الشيخ إبراهيم حقي